﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ٣٢﴾ [آل عمران: 32]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لمَّا نزل قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ الآية؛ قال عبد الله بن أُبيٍّ: إنَّ محمَّدًا يجعل طاعته كطاعة الله، ويأمرنا أنْ نُحبَّه، كما أحبَّت النَّصارى عيسى، فنزلت هذه الآية، وتحقيق الكلام في المناسبة أن يقال: إنَّ الآية الأولى لمَّا اقتضت وجوب متابعة الرَّسول ﷺ ثُمّ إنَّ المنافق ألقى شبهةً في الدِّين، وهي أنَّ محمَّدًا يدَّعي لنفسه ما يقوله النَّصارى في عيسى عليه السلام؛ ذكر الله تعالى هذه الآية إزالةً لتلك الشُّبهة، فقال: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَطِيعُواْ﴾: (طَوَع) أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْإِصْحَابِ وَالِانْقِيَادِ، يُقَالُ: طَاعَهُ يَطُوعُهُ؛ إِذَا انْقَادَ مَعَهُ، وَمَضَى لِأَمْرِهِ، ومن مضَى في أمرك؛ فقد أطاعك، وإذا وافقك؛ فقد طاوعك.

وَالْعَرَبُ تَقُولُ: تَطَاوَعْ لِهَذَا الْأَمْرِ؛ حَتَّى تَسْتَطِيعَهُ، وناقةٌ طَوْعُ القِياد وطَوعَتُه وطَيِّعته: ليِّنته، لا تنازِعُ قائدَها.

والطَّاعة: اسمٌ لما يكون مصدره الإطاعة، وهو الانقياد، وكلُّ ما في القرآن من هذا التَّركيب هو بمعنى: اللِّين والانقياد، وما يؤخذ منهما: كالاستطاعة، والتَّطوُّع[2].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

بعد أن خاطب رسولُ الله ﷺ النّاسَ جميعًا، ويدخلُ في المخاطَبين قريشٌ وأهلُ الكتاب دخولًا أوَّليًّا، وطلبَ إليهم اتِّباعه شرطًا لحبِّ الله لهم؛ أكَّد أنَّ سبب الحُبِّ هو الطَّاعةُ

(1) الرّازي، مفاتيح الغيب: 8/17.

(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (طوع).

لله ورسوله، وأكَّده بالتَّكرار ليَقرن بها ضدَّه، فقال لهم: أطيعوا الله باتِّباع كتابه، وأطيعوا الرَّسول باتِّباع سُنَّته في حياته وبعد مماته، فإنْ هم أعرضوا عنك، وأصرُّوا على ما هم عليه مِن كفر وضلالٍ، فليسوا أهلًا لمحبَّةِ الله؛ فإنَّ الله لا يحبُّ الكافرين؛ لأنَّه تعالى إنَّما أوجب الثَّناءَ والمدحَ لمن أطاعه، وأوجبَ الذِّلَّةَ والإهانةَ لمن كفر، فالإعراضُ عن النَّبيِّ ﷺ هو سببُ الحرمانِ من حبِّ اللهِ، على طريقة القرآن وأسلوبه في تقرير الشَّيء بسَلْبِ ضدِّه[1].

الإعـــراضُ عن النَّبيِّ ﷺ سببُ الـحـرمـانِ من حبِّ اللهِ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة إيثار الإظهار على الإضمار:

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾، أي: في جميع الأوامرِ والنَّواهي، فيدخلُ في ذلك الطَّاعة في أتباعِه ﷺ وإيثارُ الإظهار على الإضمار بطريق الالتفات؛ إذ ذكر في الآي السَّابقة قوله: ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ بصيغة المُتكلِّم، وذُكِرَ هُنا: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ بصيغة الغائب، فتحقَّقَ الالتفات، وأفاد تعيين حيثيَّة الإطاعة، والإشعار بعلّتها، فإنَّ الإطاعة المأمورَ بها سببُها أنَّه رسولُ الله، ولا ريبَ في أنَّ عنوان الرِّسالة من موجبات الإطاعةِ ودواعيها[2]، وفيه إشارة إلى ردِّ شبهة المنافق كأنَّه يقول: إنَّما أوجب الله تعالى عليكم مُتابعتي لا لِما يقول النَّصارى في عيسى، بل لكوني رسولَ الله[3]، فنبَّه في هذا الالتفات إلى مسألتين: أنَّ واجب إطاعتي كوني رسولًا من عند الله، وأنَّ عيسى كان رسولًا من قبلي، فبالغتُم فيه.

التَّنبيه على عنوان الرِّسالة المُوجِبِ للطَّاعة

دلالة الفعل ﴿تَوَلَّوْاْ﴾ بين صيغتي المضارع والماضي:

قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ يحتمل المضيَّ، والمضارعة، بمعنى: فإنْ تتولَّوا

(1) الرّازي، مفاتيح الغيب: 8/17، والموصلي، أولى ما قيل: 2/463، ونخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص: 56.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/25.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 2/126.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1]، فصيغة المضارع تكون من تمام مقولِ القول، فهي صيغة المضارعِ المخاطَب، بحذف إحدى التَّاءين، وأصله: تتولَّوا، وفي صيغة المضارع معنى: التَّجدُّد، ممَّا يفيد اعتماد القول لمن يوافق قولُه وعملُه أقوالَ مَن نزلت فيهم الآية وأعمالَهم[2].

المضارع من تمام ما يُقال لهم، والماضي توطئة للحُكْمِ عليهم

وإمّا كلام متفرِّعٌ عليه، مَسوقٌ من قِبَلِ الله تعالى؛ فهي صيغةُ الماضي الغائب، فالمعنى: فإن تولَّوا عمَّا أُمروا به من اتِّباعه وطاعته، فإنّ الله لا يحبُّ من كان كافرًا، فجعل من لم يتَّبعه، ولم يطعه كافرًا[3].

تقييد انتفاء المحبَّة مع وصف الكفر:

قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ نفي للمحبَّة، وهو يستلزم بُغْضَهُ تعالى لهم وسُخْطَهُ عليهم، أي: لا يرضى عنهم، ولا يثني عليهم.

طاعة الله والرَّسول هي الفيصل بين الإيمان والكُفر

وإيثارُ الإظهارِ على الإضمار؛ لتعميم الحُكمِ لكلِّ الكفَرَة، والإشعار بعلَّته، فإنَّ سخطه تعالى عليهم؛ بسبب كفرهم، وفيه إيذان بأنَّ محبَّته ﷻ مخصوصة بالمؤمنين[4]؛ ولذا أُكِّدَ هذا الحكم بمؤكِّدَين: هما ﴿فَإِنَّ﴾ وتكرار الاسم الأحسن ﴿ٱللَّهَ﴾، مع ما في هذا الحكم المُؤَكَّد من التَّقريع والتَّرهيب.

فمن تولَّى عن الطَّاعة؛ فقد خرج عن دائرة التَّحبُّب إليه سبحانه، ومن لم يتحبَّب إليه بطاعته؛ فهو لا يحبُّه بإثابته، والكافر غير متحبَّب إليه بتولِّيه عنه، فمحال أن يحبَّه، فصار تقديره: إنَّكم إذا كفرتم بالإعراض عنه وعن رسوله؛ فإنَّه لا يحبُّكم، وفي ذلك إبطال دعواهم، حيث قالوا: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾[5]، وتقييد

(1) البيضاوي، أنوار التَّنزيل: 2/13.
(2) إسماعيل حَقّي، روح البيان: 2/23.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/104.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/25.
(5) الراغب، تفسير الرّاغب: 2/520 - 521.

انتفاء محبَّة الله بهذا الوصف - الَّذي هو الكفر - مُشعِرٌ بالعلِّيَّة، فالمؤمن العاصي لا يندرج في ذلك[1].

دلالة تكرار الاسم الأحسن المرَّة بعد الأخرى:

الإشـــارة إلى تعظيم محبَّة الله بعد الإشارة إلى تعظيم أمره

ذِكْرُ لفظ الجلالة في موضع الإضمار في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، هو من قبيل التَّكرار الذي غرضُهُ التَّعظيمُ وتربيةُ المهابة، وجرى ذلك على عَادَة العَرَب، فَمن عَادَتهم: أَنَّهم إِذا عظَّموا شَيْئًا؛ كرَّروا ذِكره، وَأنْشد سِيبَوَيْه في مثل ذَلِك قائلًا:

لا أرى المَوْتَ يَسْبِقُ المَوْتَ شَيْءٌ *** نغَّص المَوْتُ ذا الغِنى والفقيرا[2].

الفَذْلَكَةُ وبلاغتها في بناء الرَّوابط مع الآيات السَّابقة:

بـيـان جـمـال الإجـمـال بذكر المـوعـظـة بعد المُـحـاجـجـة والتَّرهيب

ذكرَ ابن عاشور أنَّ هذا التّعبير من قبيل الفذلكة[3] والإجمال في أسلوب القرآن في الموعظة، من مطلع آل عمران إلى هذه الآية، حيث ابتدأ بمحاجَجَة الكفَّار بقوله: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾ [آل عمران: 20] الآية، ثُمّ بترهيبٍ بغير استدلالٍ صريح، ولكن بالإيماء إلى الدَّليل، وذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: 21]، ثُمَّ أمر بالقطيعة مع الكافرين في قوله: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ [آل عمران: 28]، ثُمَّ انتقل إلى طريقة التّرغيب في قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾، وختم بذكر عدم محبَّة الكافرين، فقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ ردًّا للعَجُزِ على الصَّدرِ المُتقدِّم، في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ﴾ [آل عمران: 10] الآية، ليكون نفيُ المحبَّة عن جميع الكافرين نفيًا عن هؤلاء الكافرين المعيَّنين[4].

---

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/104.

(2) السّمعاني، تفسير السّمعاني: 1/311.

(3) الفذلكة: هي كلمة تأتي بمعنى: خلاصة أو مجمل ما قد ذكر بالتفصيل، وهي مشتقَّة من الفعل العربي (فَذْلَكَ) وهي من قول الحاسب، وإذا أجمل حسابه، فَذَلكَ كذا وكذا: إشارة إلى حاصل الحساب ونتيجته، قال الشِّهاب الخفاجي: الفذلكة: جملة عدد قد فُصِّلَ، وبجانب هذا الاستعمال الرياضياتي: فإنَّ الكلمة تستعمل للإشارة إلى المختصرات اللُّغويَّة عمومًا، وهو مستعمل كأحد فنون نسج الكلام وبلاغته، وقد تميَّز ابن عاشور في تفسيره بإيراد هذا الفنّ. الخَفاجي: عناية القاضي: 1/386، وابن عاشور: التَّحرير والتَّنوير: 2/228.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/229.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 4 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-55-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 4 : سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-55-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»